مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 10/ العـدد: 01 (2024)، ص 11- 22

رهانات الذاكرة بين الجزائر و فرنسا
دراسة حالة الأمير عبد القادر في تقرير بن يمين سطورا
Memory stakes between Algeria and France
A case study of Emir Abdul Qadir in the report of Benjamin Stora

أ .د كريم ولد النبية[1*]
[1]مخبر الجزائر: تاريخ و مجتمع- جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس(الجزائر)، karimouldennebia@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/06/22 تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

الكشف عن الرهانات الأساسية للذاكرة التاريخية بين الجزائر و فرنسا هو هدفنا الجوهري في هذا البحث، آخذين بذلك حالة الأمير عبد القادر في تقرير المؤرخ الفرنسي بن يمين سطورا. دراستنا تتناول الموضوع من زاويتين مُتكاملتين. الأولى تخص التاريخ و هو الماضي، و الثانية لها علاقة مباشرة بالذاكرة و هي الحاضر. علما أن التاريخ هو الذي يُغذي الذاكرة و العكس صحيح أيضا. ماذا كتب المؤرخ الفرنسي بنيامين سطورا عن الأمير عبد القادر في التقرير الذي رفعه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية إمنوال ماكرون في 20 جانفي 2021 و ما رهانات ذلك في حاضر الذاكرة الوطنية الجزائرية ؟

تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة شرائح، الأولى نتناول فيها شرح مسألة علاقة الذاكرة و التاريخ. في الثانية، نُبين المحاولات الأولى لاحتواء ذاكرة الأمير عبد القادر من قبل الاستعمار الفرنسي في الجزائر. أما في الجزء الثالث و الأخير، نوضح فيه بيانات حالة الأمير عبد القادر في تقرير بن يمين سطورا المتكون من 158 صفحة.

لم تحظى شخصية الأمير باكتراث كبير بالرغم من أهميتها في تاريخ البلدين. و لم يصغى التقرير إلى المطالب الجزائرية المتعلقة بالوثائق الأرشيفية التي كتبها الأمير أو وقعها بنفسه. التقرير يعرض مجموعة من الاقتراحات، لكنها ليست كافية. كتب صاحب التقرير ،أنه يتنكر لاستعمال المصطلحات مثل التي تعني "الاعتذار". و كأنه يقول لم يحدث شيء. و التقرير رغم ذلك لا يأخذ اتجاه تجريم الاستعمار. علاوة على ذلك، علقت بعض الشخصيات السياسية الفرنسية على هذا التقرير و وصفته بالمثمر بل نعتته بخريطة طريق و هو ليس كذلك. نعتقد أنه مجرد صياغة في منحى الرأي العام الفرنسي. إن هذا التقرير ليس مُحاولة جديدة لكتابة التاريخ من زاوية المؤرخ ، حتى و لو أن الذي حرره و قدمه يحترف مُهنة التأريخ.

الكلمات مفتاحية : الذاكرة ; التاريخ ; بن يمين سطورا ; الأمير عبد القادر; إمانوال ماكرون.

* المؤلف المرسل

Abstract:

Revealing the basic stakes of historical memory between Algeria and France is our main goal in this research, taking the case of Emir Abdelkader in the report of the French historian Ben Yammine, line by page. Our study addresses the topic from two complementary angles. The first relates to history, which is the past, and the second has a direct relationship to memory, which is the present. Note that history nourishes memory and the opposite is also true. What did French historian Benjamin write lines about Emir Abdelkader in the report he submitted to the President of the French Republic, Emmanuel Macron, on January 20, 2021, and what are the stakes of this in the present Algerian national memory?

This study is divided into three segments, the first in which we explain the issue of the relationship between memory and history. In the second, we show the first attempts to contain the memory of Emir Abdelkader by French colonialism in Algeria. As for the third and final part, we explain the data on the case of Prince Abdelkader in Ben Yammine's 158-page report.

The prince's personality did not receive much attention despite his importance in the history of the two countries. The report did not listen to Algerian demands regarding archival documents written by the Emir or signed by him himself. The report offers a set of suggestions, but they are not sufficient. The author of the report wrote that he refrains from using terms such as "apology." As if he was saying nothing happened. However, the report does not take the direction of criminalizing colonialism. Moreover, some French political figures commented on this report and described it as fruitful, and even described it as a road map, which is not the case. We believe that it is merely a formulation based on French public opinion. This report is not a new attempt to write history from the perspective of the historian, even if the one who edited and presented it is a professional in the profession of history.

Keywords : Memory **;** history ; Stora ; Emir Abdul Qadir; Emmanuel Macron.

مقدمة : هناك مشكلات مُستعجَلة تثيرها اليوم إشكالية كتابة تاريخ الجزائر أو إعادة كتابته بحكم أن التاريخ معرفة مُتنامية يُعاد كتابتها باستمرار. و لعل أهم هذه المشكلات، تلك التي لها علاقة بالذاكرة

الوطنية. صحيح أن التاريخ ماضي لكنه يحمل آمالاً لترقية الوعي في الحاضر، و يرسم في الأفق طموحاً لتصحيح كتابة تاريخنا، و الذاكرة أيضا تصفيح لتلك المعركة المستمرة لما تم إنجازه في الماضي.

نحاول من خلال هذا البحث، الكشف عن الرهانات الجوهرية للذاكرة التاريخية بين الجزائر و فرنسا،آخذين حالة الأمير عبد القادر في تقرير بن يمين سطورا. لا يفوتني في هذا المقام،أن أغْرِفَ بدلوي كَمْيًا مُضافًا من تاريخ الأمير عبد القادر في القضية المطروحة في هذا المقال و علاقتها الوثيقة بموضوع تأملات في تجربة الأمير عبد القادر بنظرة اليوم. و حقيقة التأملات هذه، حالة ذهنية واعية علينا تدارسها من زاويتين متكاملتين. الأولى تخص التاريخ و هو ماضي، و الثانية لها علاقة مباشرة بالذاكرة و هي حاضر.و علينا أن "نُميز" (وليس نُفرق) بينهما. لأن ذاكرة الأمير هي ذلك التراث الذي بقي من التاريخ في لحظته تلك التي نقصدها في هذه الدراسة. و ما يبقى قد يكون ماديا، وقد يكون فكريا أيضا. إن التاريخ هو الذي يغذي الذاكرة و العكس صحيح. فالسؤال المحوري المطروح في هذه الدراسة هو :ماذا كتب المؤرخ الفرنسي بنيامين سطورا عن الأمير عبد القادر في تقريره الذي رفعه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية إمنوال ماكرون في 20 جانفي 2021 و ما رهانات ذلك في حاضر الذاكرة الوطنية الجزائرية ؟ سوف نسعى لإجابة على ذلك من خلال توفر شرطين أساسيين، أولها المنهج التاريخي بحكم التزامه بجمع المادة التاريخية و نقدها داخليا و خارجيا ثم تركيبها و منهج دراسة الحالة الذي يناسب مثل هذه الدراسات. أما الثاني، فيتعلق بالوثيقة التاريخية حيث جمعنا وثائق تتعلق بالموضوع من خلال ما عثرنا عليه في مركز أرشيف فانسان في باريس و مركز ما وراء البحار في مدينة أكس. زيادة على عدد مُعتبر من المصادر و المراجع الأساسية المتعلقة بالموضوع كالوثيقة الأصلية لتقرير المؤرخ بن يمين سطورا التي تم تحميلها من موقع قصر الإليزي و مقر رئيس الجمهورية الفرنسية الكائن بالقرب من شارع الشانزلزيه في العاصمة الفرنسية.

أولاً :مسألة الذاكرة و التاريخ.

ارتبطت دراسة التاريخ (الماضي) بالعلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية الأخرى. فأضحت من مواضيع الساعة التي تشغل الباحثين. فالشعوب تُستعمر و الذاكرة أيضا تُستعمر و يتم احتلالها فتُكبل و تُجمح حريتها و يصعب بذلك تحريرها. و تعاني الكثير من الدول من أزمة عميقة في ذاكرتها التاريخية على غرار اليابان، ألمانيا وفرنسا... و من هنا كان التاريخ لا يدرس الأحداث فحسب بل أيضا الظواهر.

الذاكرة والتاريخ يلتقيان في نقطة واحدة هي الماضي (RICOEUR,P.2003) ، لكن التاريخ يُريد فهم هذا الماضي، بينما الذاكرة تريد أن تعيش في هذا الماضي. في الواقع، الذاكرة تتعامل مع الأحداث، بينما التاريخ يتعامل مع الوثائق (المصادر). و الذاكرة مخزون غير ملموس وغير مادي فقد نستحضر ذكريات و ننسى الباقي، و النسيان من طبيعة الانسان. بيد أن التاريخ مخزون ملموس و مادي يمكن التعامل معه ماديا بالوثائق. و لعله من المفيد التأكيد على أن العوامل الشخصية في الذاكرة أقوى من العوامل العلمية، بمعنى أن الذاتية تطغى في غالب الأحيان عن الموضوعية.لأن الذاكرة هذه تعيش في الماضي و تتغذى به. لكن التاريخ يمكن أن يكون موضوعيا بشرط توظيف المناهج العلمية، لأنه لا يعيش في الماضي بل يُكتب في الحاضر من خلال استرجاع الوثائق أو الأصول. ثم أن كتابة الذاكرة من مسؤولية الجميع من : نخب،الدولة،السينما،المتحف،الجامعة و غيرها. أما كتابة التاريخ فهي من مسؤولية المؤرخين بمختلف تخصصاتهم. و عليه لا ينبغي أبدا أن تحل الذاكرة محل التاريخ. علينا أن نُميز (و ليس – نُفرق) بينهما، لأن الذاكرة مهمة جدا في تكوين و تثبيت الهوية الوطنية. و لكم في هذا مثالاً حيًا في تاريخنا و ذاكرتنا. ذاكرة مجازر الثامن من ماي 1945 و انعقاد مؤتمر العشرين من أوت 1956 هي في يوم واحد عندما نحي ذاكرة هذه الأحداث، بينما هي في "التاريخ" أيام عديدة، حيث استمرت الجرائم الاستعمارية في شهر ماي حوالي 19 يوما. و ربما أكثر ليصل عدد الضحايا إلى 45 ألف شهيد. شاركت جميع وحدات النظام الاستعماري في هذه الجرائم (جيش بري،شرطة، كولون،لفيف أجنبي،طيران،بحرية..).. زيادة على أن التاريخ يُوضح لنا أن مؤتمر الصومام، بطبيعة الحال، لم ينعقد في يوما واحدا مثل ما تحييه الذاكرة. لكن المهم بالنسبة للذاكرة، هو أن الإنسان عليه أن يتذكر،لأنه بكل بساطة ينسى فعلينا أن نذكره باستمرار و في كل سنة، و من هنا ظهر الحديث عن واجبات الذاكرة خاصة الجماعية منها.

ثانيًا : المحاولات الأولى لاحتواء ذاكرة الأمير عبد القادر.

حاول المُستعمر أن يرسم صورة خاطئة في أذهان الجزائريين في حربه ضد الذاكرة الوطنية الجزائرية، و طبعا كان ذلك عن طريق تاريخ المدرسة الاستعمارية. و هو أمر خطير،علينا أن ننتبه إليه. و لعل أحسن مثال هو محاولة "إدماج" و "خطف" شخصية الأمير عبد القادر من داخل تاريخ فرنسا الاستعماري. لقد كتب المؤرخ الفرنسي الكولونال بول آزان عام 1930: - « إن الأمير عبد القادر أصبح صديق فرنسا » .(AZAN, p.1925) و مباشرة بعد ذلك أصدرت سلطات الدولة الفرنسية طردا بريديا أظهرت فيه مُقاربة متناقضة لكنها مقصودة بين شخصية الأمير و شخصية عدوه الجنرال توماس بيجو

في ذكرى مرور قرن على وفات هذا الأخير في10 جوان 1849.(RAP,ANOM.21 OCT.1950) يبرز هذا الطرد البريدي مغالطة خطيرة من خلال صورة الأمير وهو ينظر إلى عدوه و كأنه صديق حميم له. كما أن الاستعمار ظل يستغل صورة الأمير حتى في جمع الأموال لفائدة الفقراء و المساكين من خلال بيع هذا الطرد البريدي لأطفال المدارس.إنه أمر مقصود لاحتواء ذاكرة الأمير. بمعنى أن عدو الأمير تحول إلى صديق له.

تُعد هذه المقاربة التاريخية "دعائية" للذاكرة الفرنسية بكل المقاييس بهدف احتواء تاريخ الأمير المزور كصديق لفرنسا.فكان من الطبيعي أن يُستفز الشعب الجزائري بهذا السلوك العدائي والاستفزازي. لقد أدى هذا إلى رد فعل الحركة الوطنية الجزائرية تمثل في التخطيط لعملية تفجير النصب التذكاري لأمير عبد القادر في كاشرو(معسكر) من قبل المنظمة الخاصة(L'o.s) عام 1947(ولدالنبية،م.م.د.ت.إ:2012). إنها بالفعل أكبر مغالطة تاريخية عرفها التاريخ .لقد أخذت المدارس الابتدائية في كل الجزائر المستعمرة تُوزع هذه البطاقات مجانًا على الأطفال ويُطلب منهم تلصيق صور الأمير و بيجو في منازلهم.(RAP,Op-Cit.1950) و من الواضح، أنه بالنسبة لفرنسا تُعتبر هذه المحاولة لصناعة حقيقية مزيفة لصورة الأمير في مخيال الذاكرة الاستعمارية. (Télégramme, Anom.18 juin.1949).

نذكر أيضا أن المحاولات الأولى لهذا النوع من المغالطات التاريخية بدأت منذ نهاية عام 1830،حيث رسمت السلطات الاستعمارية إستراتيجية خطيرة في بناء تاريخ الجزائر من خلال الوثائق المزورة.

لقد وظفت الأسطوغرافيا الاستعمارية مُبكرًا في مخططاتها دراسات تاريخية تتعلق بشخصية الأمير عبد القار حيث كان شارل ميلي أول من صنف اسم الأمير عبد القار في دراسته الببليوغرافية لأعلام العسكرية الفرنسية منذ عام 1852.ثم اتبعه ألكسندر بلمار عندما التقى الأمير في باريس. و نشر أول كتاب يتعلق بالحياة السياسية والعسكرية لأمير عام 1854 ثم 1863 في طبعة ثانية.

بيد أن المُنفذ الحقيقي الأول لمشروع لاحتواء "ذاكرة" الأمير عبد القادر من خلال تزوير تاريخه، هو من دون شك المؤرخ العسكري بول آزان (Paul Azan)الذي أظهر نيته الخطيرة في عنوان كتابه : الأمير عبد القادر من التعصب الإسلامي إلى القومية الفرنسية. الكتاب طُبع لأول مرة في باريس عام 1925، ثم في طبعة منقحة أخرى بمناسبة الاحتفال المئوي عام1930و بعدها عام 1949. كان هدف

المؤرخ الكولونال أزال واضحا و لا يكتنفه أي شك. كان يُريد احتواء ذاكرة الأمير ضمن تاريخ فرنسا و يجعل منه صديقا وفيا لفرنسا. و هي محاولة خطيرة جدا ، لا تزال آثارها السلبية باقية لحد اليوم.

ظلت الدراسات التاريخية للمؤرخين الفرنسيين منذ البداية، تنظُر إلى شخصية الأمير في معزل عن مجتمعه الأصلي. نقصد الأمة الجزائرية طبعًا. و نستثني من هذه الدراسات بدرجة أقل كتاب الأنجليزي الكلونيل هنري تشرشل (Ch.-H.CHURCHILL)عام 1867 والذي ترجمه الفرنسي (M.HABART) إلى اللغة الفرنسية حيث أعيد طبعه مرات عديدة. كما قام المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله إلى نقله إلى اللغة العربية بعنوان حياة الأمير عبد القادر عام 1974 و نشره في تونس ثم الجزائر عام 2009.

لقد توالت الدراسات التاريخية المتعلقة بشخصية الأمير عبد القادر بشكل وافر و مستفيض. ومن تلك التي اعتمدت على الوثائق الأرشيفية نذكر ما كتبه الأسقف ديبوش حول الأمير في قصر الأمبواز و كتاب مارتين لوكوز بعنوان بساتين الشرق.وكتاب برونو إيتيان بعنوان عبد القادر...وغيرها التي ركزت في أغلبها على عزل شخصية الأمير عن مجتمعه ويحق لنا أن نتساءل.إذا كان الأمير رجل في قمة التحضر يعرف كيف يعطي الحقوق للمساجين الحرب و يحترم العدو في معاركه وينقد المسحيين من غضب المسلمين في أزمة الشام و هي كلها من الميزات الحضارية.فالسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا تُفرق هذه الكتابات التاريخية بين الأمير المتحضر و بين الشعب الجزائري التي تصف تركيبته بالأهالي غير مُتحضرين.إنها بحق مفارقة كبرى ومغالطة استعمارية واضحة.

نعم التاريخ، يُستعمر كما تُستعمر الجغرافيا . وهذا ما أدركه محمد الشريف ساحلي. حين دعا إلى تحرير التاريخ في كتابه المشهور – تحرير التاريخ. لقد كتب محمد الشريف ساحلي أيضا "رسالة يوغرطة"، و"الجزائر تتهم"، و"الأمير عبد القادر: أباطيل فرنسية،وحقائق جزائرية"،و"المؤامرة في وجه الشعوب الإفريقية"،و"الأمير عبد القادر فارس الإيمان". نشره قبل استقلال الجزائر. كما نشر جزائري شاب أخر، كاتب ياسين أول كتاب له و عمره سبعة عشر سنة، يتناول تاريخ الأمير، و فيه جملة مؤثرة تستوقفنا في هذا الموضوع :« أشعر إنني حققت مهمتي وأنا اكتب عن الأمير لجلب تعاطف المثقفين الفرنسيين لقضية استقلال بلادي الجزائر».(KATEB.Y.1948.p37). هكذا، أدرك، أنه أصبح من واجب كل مُثقف العمل على تحرير تاريخ وذاكرة الجزائر من الاستعمار.

ثالثًا : علاقة تقرير سطورا بالأمير عبد القادر.

التقرير مُوجه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية يوم 20 جانفي2021، بحكم أنه هو الذي كلف المؤرخ بنيمين سطورا في شهر جويلية 2020، بكتابة تقرير في مسائل الذاكرة المتعلقة بالاستعمار في الجزائر حيث جاء في هذه الرسالة : « أريد الانخراط شخصيا في مصالحة جديدة بين الشعب الفرنسي و الجزائري».(RAP,B.STORA.17 OCT.2022) و هي مبادرة لم تأتي من فراغ. نُسجل أنها جاءت بعد تصريح إ. ماكرون منتقدًا النظام الاستعماري عند زيارته الأولى للجزائر كمرشح الانتخابات الرئاسية الفرنسية في فبراير 2017.

زيادة على تصريحات أخرى للرئيس الفرنسي، مثل اعترافه بمسؤولية الدولة الفرنسية في اغتيال موريس أودان عام 1957. و هو تصريح ،لا يُستهان به. و نذكر أيضًا بالتعهد باسترجاع جماجم الجزائريين المقتولين عام 1849، نقصد تلك التي كانت محفوظة في متحف الإنسان بباريس و التي لا طالم طلبت بها السلطات الجزائرية.

لقد كُلف الرئيس الفرنسي بنيمين سطورا ليس لأنه مؤرخ و فقط، بل لأنه اشتغل على موضوع الذاكرة و له مجموعة كبيرة من الكتب في هذا الموضوع. (NORA,P.& STORA,B. 2021)

نحن هنا نتذكر كتابه المشهور الغنغرينا و النسيان في ذاكرة حرب التحرير الجزائرية الصادر عام 2005. إن التقرير الذي حرره بنيمين سطورا و وجهه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية يوم 20 جانفي2021، هو عبارة عن تقرير ضخم يتكون من 158 صفحة، و ينقسم إلى ثلاث أقسام و خاتمة. (RAP,B.STORA. p12)

القسم الأول : الجزائر ، النسيان المستحيل.

القسم الثاني : علاقة فرنسا بالجزائر. ابتداء من الصفحة 34

القسم الثالث : التحديات المطلوبة. ابتداء من الصفحة 60

خاتمة ابتداء من الصفحة 88 : نحو اتفاقية الذاكرة و الحقيقة – و عرض المقترحات. ابتداء من الصفحة 95.

كتب المؤرخ بنيامين في هذا التقرير،أنه يتنكر لاستعمال المصطلحات المتنوعة حتى تلك التي تعني "الاعتذار" و هذا طبعا أمر مقلق جدا. و كأنه يقول لم يحدث شيء. و التقرير رغم ذلك لا يأخذ اتجاه تجريم الاستعمار (أي رفض فكرة تشريع قوانين). و الملف لانتباه في هذا التقرير، أنه لا نجد أثر للمصطلحات التي تقابل جرائم النظام الاستعماري الذي اعترف به ماكرون عند زيارته الأولى للجزائر في

فبراير 2017 مثل :التوبة (Repentance)- اعتذار (Excuses)- تجريم (Criminalisation)-التعويض (Réparation)-.

إن التقرير يُوظف بشكل واضح و بدون غموض مصطلح " المصالحة" (Réconciliation)- و بالتالي نستنتج أن التقرير وضع المُسْتَعْمِر (الظالم) و المُستعمَر (المظلوم) في سلة واحدة و هذا غير مقبول بالنسبة لنا كالجزائريين بل حتى بالنسبة للكثير من الفرنسيين و أحرار العالم و كذا المثقفين غير المحترفين للسياسة.

يعرض التقرير عدّة مسائل مُتعلقة بالذاكرة التاريخية و يشرح علاقتها بين الدولة الفرنسية والدولة الجزائرية. يُبين هذا التقرير كيف أن الذاكرة تفرقت بين الشعبين و أيضا كيف تجسد النسيان فيها. و التقرير يعرض أيضا لمسات كل رؤساء الجمهورية الفرنسية قبل ماكرون إلى الآن مع جرد مبادرات المجتمع المدني بين البلدين كما تعرض أيضا لمسألة الأرشيف و قضية الاعتراف بالوضعية الاستعمارية .و في الأخير يقدم التقرير مختلف الاقتراحات التي يمكن تفعيلها في سبيل تقريب مصالحة الذاكرة في فرنسا و الجزائر. و ينتهي التقرير بقائمة بيبليوغرافية من المفيد الانتباه إليها، لأنه أقل ما يمكن أن نقوله عنها إنها بيبليوغرافيا حديثة وجديدة. بنيمين سطورا مؤرخ مُحترف، يعرف جيدا ماهية و مغزى التاريخ. لقد لاحظنا من خلال تصفح قائمة المصادر و المراجع المستعملة ، أنها تتميز بالتعدد و التنوع. لقد انتبه سطورا إلى حد كبير إلى مسألة إبعاد المراجع التي لها علاقة مباشرة بالمدرسة الاستعمارية لكتابة التاريخ.

في فيما يلي نحاول التركيز على موضع ذكر الأمير عبد القادر.

1/ يقترح إنشاء ما اصطلح عليه بلجنة الذاكرة و الحقيقة،تتعلق بالمقاومة و الثورة. و طبعا مقاومة الأمير عبد القادر من ضمن اهتمام هذه اللجنة. علما أن هذا الاقتراح جاء في خاتمة التقرير وهذا يذكرنا بما أتى به سابقا المناضل الكبير نلسون منديلا رئيس جنوب إفريقيا بتاريخ 19 جويلية 1995.

2/ أكد التقرير على تشجيع البحث التاريخي بفتح الأرشيف . لكن دون إشارات واضحة. لأن الأرشيف المتعلق بالأمير عبد القادر يُمكن أن نجده في مواقع مختلفة يحفظه الأرشيف الوطني الفرنسي، سواء في قصر فرساي، أو مركز ما وراء البحار أو حتى المُتعلق بالأرشيف الديبلوماسي للقرن التاسع عشر في كورنوف بباريس. أسئلة كثيرة يمكن طرحها في هذا الموضوع. شخصيا في الأرشيف الحربي بقصر فانسان عندما طلبت فتح رسائل الأمير عبد القادر و هو في طريقه إلى منفاه في مدينة بو أو حتى قصر الأمبواز، تحصلت على رسائل مُترجمة إلى الفرنسية و عندما طلبت الرسائل الأصلية التي كتبها بخط

يده،كانت الإجابة أنها غير موجودة.(Arch,SHD.Paris.Série.1h32) و هو الأمر نفسه الذي يجعلنا نطرح أسئلة عن الوثائق معاهدة دي ميشال و تافنة التي لم يصلنا منها سوى نسخ مصورة. فأين الوثائق الأصلية ؟ و أخيرا، من الواضح أن التقرير لم يَعترف بمسألة استرجاع الأرشيف بما فيها مكتبة الخاصة لأمير عبد القادر التي نهبت في معركة زمالة يوم 16 ماي 1843.

3/ عرض التقرير إعادة النظر في البرامج التعليمية ،لكن دون إشارات واضحة. نعلم جيدا كيف يدرس تاريخ الجزائر في المدارس الفرنسية. ولعله من المفيد التذكير بما حدحث في قانون تمجيد الاستعمار الايجابي عام 2005. المهم ، أن مسألة تدريس تاريخ الجزائر في فرنسا تحتاج إلى توضيحات أكثر و أعمق بكثير. للتذكر أيضا أن التقرير ذكر اسم الأمير لمرات على أصبع اليد الواحدة، بينما ذكر التقرير أسماء شخصيات أخرى عديدة على غرار ألبار كامي (Albert Camus)العديد من المرات.

4/ إنشاء نصب تذكاري لأمير عبد القادر في لومبرواز قرب مدينة تور حيث كان مسجونا (1847-1852). و طبعا في هذا الموضوع، لم يتعرض التقرير إلى الضرر الذي أصاب هذا النصب التذكاري بعد انجازه في المكان نفسه. لقد تعرض إلى الإتلاف بفعل فاعل في الليلة نفسها التي تم تدشينه. لكن الصحافة الفرنسية لم تركز اهتماماتها في هذا الموضوع خوفا من ردود فعل اليمين المتطرف. التقرير يُحاول مرة أخرى احتواء ذاكرة الأمير، و هذه المرة باسم الثقافة الإنسانية.لماذا في هذه الحالة لم يتم اقتراح وضع نصب تذكاري في العاصمة باريس (أو داخل متحف اللوفر مثلاً) ما دام أن الأمير عبد القادر شخصية عالمية.

5/ استرجاع رفات عائلة الأمير عبد القادر (القائمة الاسمية منشورة). عددهم = 25. في هذه المسألة الجزائر لم تطلب أبدًا استرجاع هذه الرفات و لا أعتقد أنها سوف تفعل ذلك. لكن كان على بنيمين سطورا ، كاتب التقرير الإشارة إلى رفات عائلة الأمير و مجموعة كبيرة من أصدقائه في جزيرة مارغريت قرب مرسيليا. (RAP, ANOM. Liste frégate. STORA.25 Déc.1847)

6/ ارجاع و إعادة سيف الأمير عبد القادر إلى الجزائر. يبدو أن الأمير سلمه إلى لاموريسيار في أخر يوم من تواجده في ميناء الغزوات. لكن ما الذي يُثبت أن الأمير سلم سيفه ؟ و هو الأمر الذي يدعون إلى طرح سؤال انتبه إليه أغلب الجزائريين بالرغم من أنهم ليسوا مُختصين. أين هي الرسالة التي كتبها الأمير عبد القادر باللغة العربية و سلمها إلى الجنرال لامورسيار ؟ (LETTRE, 21 Déc.1847 : Revue l'Illustration.1930)

هذه الرسالة تحمل في طياتها عدّة أسرار. كيف للمؤرخين الفرنسيين على غرار شارل أندري جوليان يروجون فكرة استسلام الأمير يوم 1847/12/27 بالرغم من أنهم يجهلون القراءة باللغة العربية. كيف توصلوا إلى هذا الاستنتاج الذي فيه نوع من الإحباط لمقاومة الأمير. لقد بيّنا في دراسات سابقة. (ولد النبية،مرجع سابق،ص 165)أن الأمير عبد القادر طلب عهد الأمان لكنه لم يستسلم.

7/ إرجاع برنوس الأمير عبد القادر. طبعا البرنوس الذي كان يرتديه الأمير عندما كان في دمشق ليس هو المقصود. ذلك البرنوس سبق لدولة سوريا أن سلمته للجزائر . و هناك مؤلفات مكتبة زمالة الأمير، و أيضا مصحف الأمير، و مروحيته الخاصة و غيرها من الأدوات التراثية التي تجاهلها التقرير.

هل حقا هذه المبادرات تستحق التنويه ؟هل هي في مستوى الحدث ؟ هل هي كافية كما كتب بعض المؤرخين و السياسيين؟ بخصوص التنويه ما عدا الشخصيات الفرنسية التي وصفت هذا التقرير بأنه محاولة فتحت مجالا واسعا للمصالحة،الأغلبية من الجزائريين وصفت هذا التقرير و اعتبرته ناقصا و نحن مع هذا الرأي بناءا على ما قدمناه من إثباتات تاريخية في هذا المقال.

الخاتمة:

التقرير يعرض مجموعة من الاقتراحات هذا صحيح، لكنها غير كافية. و صحيح أيضا أن هذا التقرير هو مبادرة من جهة واحدة. فهو مُوجه للرئيس الفرنسي، بمعنى آخر، فهو لا يعني الجزائريين بصفة مباشرة. لقد وصفه البعض بخريطة طريق و هو ليس كذلك. أغلب الشخصيات الفرنسية كالسياسيين و المؤرخين اعتبروه خطوة ايجابية تفتح الطريق نحو المصالحة. لكن من جهة أخرى، اعتبره الجزائريون المختصون في السياسة و التاريخ، أمر لا يهمهم باعتبار أنه ليس مُوجه لهم.و عليه يمكن أن نستنتج بأن التقرير عبارة عن شرح للرأي العام الفرنسي، و هذا ما يفسر تلك المصطلحات المستعملة. و عليه، فإن هذا التقرير يمكن اعتباره موقفا رسميا للدولة الفرنسية اتجاه ذاكرة الأمير و بالتالي اتجاه الذاكرة الوطنية الجزائرية بصفة عامة.

إن فرنسا لا تزال بعيدة عن مواجهة الحقائق التاريخية التي مارستها في الجزائر. التقرير له علاقة وثيقة بالذاكرة أكثر من ما له علاقة بالتاريخ. و من جهة أخرى، نستنتج أن هذا التقرير لا يمكن اعتباره مُحاولة جديدة لكتابة التاريخ من قبل مؤرخ فرنسي، حتى و لو أن الذي حرره و قدمه يحترف مُهنة التأريخ.

نحن من خلال هذا البحث نُثمن مساعي تكثيف الدراسات التاريخية المتعلقة بالذاكرة الوطنية و علاقتها بالتاريخ التي وضعت على رأس أولوياتها مسألة في غاية الأهمية كونها ترتكز على تثمين الذاكرة الوطنية من خلال كتابة التاريخ حيث يُحاول بعض الأغيار السَطْو عليه.

قائمة المصادر و المراجع.

-1 - ولد النبية (كريم) :« كاشرو- *ذاكرة الأمير عبد القادر والمنظمة الخاصة عام* 1949 » ،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية - مكتبة الرشاد للطباعة والنشر،عدد خاص/مارس 2012.ص.ص 155– 175.

-2 - وكالة الأنباء الجزائرية – "*وزير المجاهدين يؤكد على ضرورة حماية مآثر الأمير عبد القادر للحفاظ على الذاكرة الوطنية* "- الموقع الرسمي للوكالة- بتاريخ :السبت, 26 نوفمبر 2022.
https://www.aps.dz/ar/algerie/135211-2022-11-26-18-03-04

-3 - وكالة الأنباء الجزائرية – موسكو – " *أكد رئيس الجمهورية, السيّد عبد المجيد تبون, اليوم الأربعاء بموسكو, أن وجود نصب تذكاري للأمير عبد القادر "بأجمل ساحة بموسكو دليل على وجود صداقة عريقة بين الشعبين الجزائري والروسي.*"- الموقع الرسمي للوكالة- بتاريخ :الأربعاء, 14 جوان 2023.
https://www.aps.dz/ar/algerie/145346-2023-06-14-15-36-10

4 -ANOM –Aix Provence. Font GGA, Rap21 Oct. 1950.

5 -ANOM –Aix Provence. Font GGA, Série…. Rap21 Oct. 1950.Distribution dans les écoles indigènes.

6 -ANOM –Aix Provence. Font GGA, Télégramme 18 juin 1949, A.S / Distribution de cartes postales.

7 – ANOM-Aix .Liste des embarqués de la frégate -Date du 25.12.1847.

8 -AZAN (Colonel Paul)- L'Émir Abdelkader 1803-1883: du fanatisme musulman au patriotisme français ,1ère édition. Paris,1925.

9 –Lettre de l'Emir à Lamoricière datée du 21 Décembre 1847, In magazine «l'Illustration» N◈ 4551-88ème année-du 24 Mai 1930.

10-NORA (Pierre)-STORA (Benjamin)-Mémoires coloniales, éd. Bayard, Paris, 2021.

11-STORA (Benjamin)-La gangrène et l'oubli, la mémoire de la guerre d'Algérie, éd. La découverte, Paris, 2005.(386p).

12-STORA (Benjamin)- JENNI (Alexis).Mémoires dangereuses, éd. Albin Michel, Paris,2015(232 p).

13-STORA (Benjamin)-Une Mémoire Algérienne, éd. Robert Laffont, Paris, 2020 (1088 p).

14-STORA (Benjamin)-France-Algérie, les passions douloureuses,

éd. Albin Michel, Paris,2021(208 p).

15 – S.H.D.Archives service historique de la défense. Paris-Vincennes. Série 1H 32.

16 –RAPPORT de Benjamin STORA sur les questions mémorielles portant sur la colonisation et la guerre d'Algérie. Publié par le palais de l'Elisée le 17 octobre 2022 (158 p).

17 -RICOEUR (Paul) – La Mémoire , l'histoire et l'oubli,

édition Le Seuil , Paris, 2003 (736 pages).